# حكايات أشعب

تأليف
مصطفى وهبة

مكتبة الإيمان بالمنصورة

١٤١٨ ـ ١٩٩٧

الطبعة الأولى

**مكتبة الإيمان**

المنصورة - أمام جامعة الأزهر

ت : ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

# هذا الكتاب

لا أدع أننا بهذا الكتاب: «حكايات أشعب». قد أتينا بجديد؛ ليس له قديم. .أو أبدعنا شيئا من عدم؛ لم يسبقنا إلى إبداعه أحد غيرنا. فقد كان ماثلاًأمامى العمل الرائع لأديبنا العظيم توفيق الحكيم: « أشعب أمير الطفيليين» الذى كتبه سنة ١٩٢٨ وظللت متردداً طويلاً. . هل أنشر هذه الحكايات ـ التى كانت مكتوبة بالفعل وحبيسة بأحد الأدراج أكثر من عشر سنوات. .

أم أكتفى بما قد فعله توفيق الحكيم وما فعله مع أشعب منذ ستين عاماً . . وهأنذا أحسم ترددى عندما أتذكر أن هناك أجيالا جديدة . . . أجيالا تلفزيونية . ربما لم تسمع عن أشعب، وإذا كانت قد سمعت عنه، فالمؤكد أنها تتوافر لها فرصة قراءة عمل أدبى جيد تناوله، سواء لتوفيق الحكيم أو غيرُه من سواء لتوفيق الحكيم أو غيره من أدبائنا العظام.

على أية حال . إن شخصية أشعب فيها من الثراء مايجعل أكثر من واحد، يتناولوها ويحكون عنها.

وتلك الشخصية الثرية موجودة بشحمها ولحمها فى تراثنا العربى ونوادره مبعثرة هنا وهناك فى الكتب التى تركها لنا: الجاحظ وابن عبد ربه والخطيب البغدادى وبديع الزمان.

كل ما فعلناه هو أننا جمعنا ماتناثر من طرف ونوادر عن أشعب ـ ذلك الراصد لموائد الطعام وولائم الأعراس كما يرصد الفلكى كواكب ونجوم السماء.

واعتبرنا ما جمعناه بمثابة الأساس المعمارى الذى بنينا عليه الحكايات، فتتحول بذلك الطرف والنوادر من مجرد شىء يثير الضحك والابتسام السريع، إلى حكايات طريفة ـ متخيلة بالطبع ـ لها بداية ولها نهاية، تعيش معنا ونشعر بحلاوتها فترة أطول. . ولعلنا قد وفقنا. . .

المنصورة فى ٢٨ / ٦/ ١٩٩٧ . **مصطفى وهبه**

# حكاية أشعب

# مع معشوقته دلال

كان أشعب يجلس إلى جاريته دلال ذات نهار ـ وأشعب إن كان ولابد أن نعّرفه، رغم أنه غنى عن التعريف، أشهر الطفيليين الذين عرفهم العرب وأظرفهم حديثاً وأملحهم صوتا رغم قبح وجهه وازدراء هيئته.

والطفيلى هو من ناحية: الذى يفرض نفسه على موائد الطعام وعلى الأعراس دون أن يدعوه أحد، ومن ناحية أخرى : الذى لا يشبع أبداً وداؤه المزمن معدته أو بطنه الخاوية. .

ويمكن أن نعرِّفه بما درج عليه عامة الناس من مفاهيم فنقول أنه (التلقيحة) أو الذى ( يلقح جتته) . والطفيلية: تلقيح الجته . .

قلنا إن أشعب كان يجلس إلى جاريته دلال ذات نهار يحادثها حديث العاشقين ويضاحكها، إلى أن انتصف النهار فبادرها بالسؤال:

ـ مالى لاأسمع للطعام ذكراً ؟

فاحمرت وجنتاها خجلا وقالت:

ـ سبحان الله ! أما تستحى يا شيخ ؟ أما فى وجهى من الحسن ما يشغلك ويشغل بطنك عن الطعام ؟.

فسكت أشعب وراح ينظر إلى وجهها وعينها متمسكًا بأهداب الصبر والقناعة إلى أن بادرته بالسؤال:

ـ أى الأصوات أحب إليك يا أشعبى؟.

فقال:

ـ بقبقة الطعام فى القدور على النار.

فقالت فى شىء من الامتعاض والتأنيب:

ـ أهذا كلام يقال فى مثل هذا الموقف الذى نحن فيه؟

فقال :

ـ صدقت، ولكن ماذا أفعل فى نار الحشا ؟

ـ أى نار ؟

ـ نار الجوع.

ثم رفع صوته وغنى :

**إذا كان فـــى قلبى طعام ذكـــرتها    وإن جعت يوما لـــم تكـــن لى على ذكر**

**ويزداد حـــبى إن شبعت تجــــددًا    وإن جعت غابت عن فؤادى وعن فكرى**

فنهضت لُتحضر له شيئا من الطعام يعالج به نار حشاه، ثم عادت وفى يدها وعاء به بعض التمر.

فلما أبصر أشعب الوعاء نهض وخطفها من بين يديها ثم احتضنها وراح ينهش مافيها طولا وعرضاً ،لا يفضل تمرة عن تمره ولا يرمى بنواة منها ولاينزع قمعاً عنها ولا يفتش فيها مخافة سوس أو دود.

فلما رأت دلال ما يعتريه ومايعترى التمر الذى جاءت به، لم تزد على أن همست كالمخاطبة لنفسها:

ـ هذا والله هو العشق !

وأرادت أن تلاطفه فقالت:

ـ أتحبنى يا أشعب ؟

فلم يجب، ولم يلتفت إليها، ولم يبد عليه أنه سمع منها شيئاً، ومضى فى حال التهامه ومضغه إلى أن توسلت إليه ليتكلم، فصاح متبرماً:

ـ أما سمعت قول من قال: إذا كنت على مائدة فلا تتكلمن وأنت تأكل وإن كلمك من لابد من جوابه، فلاتجبه بغير هز رأسك، وإن كان ولابد . . فقل نعم، فإن نعم لاتعطل المضغ.

فضحكت دلال ثم قالت:

ـ ولكنك لم تجيبنى حتى بقول نعم.

فنظر إليها وفمه ممتلىء بالتمر نظرة من يسألها عما كانت قد قالته، لأنه لم يسمعه، فهو عندما يكون مشغولاً بالأكل لا يسمع.

فأجابت :

ـ سألتك: أتحبنى يا أشعب ؟

فلم يلفظ بحرف.

فسكتت ورأت أن تحتال عليه وتحرجه فقالت:

ـ ألا أعجبك ؟

فنظر إليها نظرة المعتذر المشغول عن الجواب.

فقالت لتضيّق عليه الخناق:

ـ من تحب من أصحابك أكثر ؟ .. أهو نعمان؟ ..

فأجابها على عجل ويده تغوص فى وعاء التمر :

ـ والله ماترك الطعام فى قلبى حباً لأحد.



# حكاية أشعب
# مع الكندى البخيل

انتهى المطاف بأشعب أمام بستان جاره الكندى، فوقف وأرسل سهماً من سهام بصره جال بكل جوانب البستان حتى وقع على الكندى جالساً فى ظل احدى أشجار البستان أمام جدول ماء صغير، وقد بسط بين يديه قطعة من القماش عليها بعض مالذ وطاب من الطعام، فاقترب منه قائلاً:

ـ السلام عليكم.

فرد الكندى السلام قائلاً:

ـ هلم عافاك الله.

فظن أشعب أنه يدعوه للطعام، فَهَمّ بأن يقفز فوق جدول الماء ليصل إليه سريعاً، وإذا بالكندى يصيح به:

ـ مكانك . . . لاتتعجل، فإن العجلة من الشيطان.

فوقف أشعب مأخوذا، ومما زاد أخذه أن الكندي سأله:

ـ ماذا تريد ؟

ـ بل ماذا تريد أنت؟ . . . قلت لى هلم، فلبيت الدعوة.

ـ أى دعوى ؟ أتريد أن تأكل معى ؟ . . كيف خطر على بالك ذلك، وكيف طمعت فى الأكل معى ؟ . . ثم من أباح لك مالى ؟!

ـ أولست قدَ دعوتنى ؟

ـ ويلك . . . لو ظننت أنك أحمق إلى هذا الحد مارددت عليك السلام . . فما كان بيننا ليس إلا سلام ورد سلام، أوكلام بكلام ، ولكنك تريد أن يكون كلام بفعال، وقول بأكل ، وهذا ليس من العدل أو الإنصاف.

وابتلع بيضة كانت فى يده، وأشعب ينظر إليه مغتاظاً فقال:

ـ لقد رأيتك تأكل وحدك.

بلع الكندي ريقه ثم قال :

ـ وما فى ذلك ؟ لإن آكل وحدى خير من أكل مع غيرى فأكلى وحدى هو الأصل، أكّيل مع غيرى هو غير الأصل واذا كانت الوحدة خير من جليس السوء، فإن جليس السوء خير من أكّيل السوء . لأن كل أكّيل جليس وليس كل جليس أكيلاً.

فقال أشعب:

ـ إنما أردت أن أشاركك الأكل ليقولوا عنك كريم ولأنفى عنك صفة البخل.

وأجاب الكندى وهو يقذف بيضة أخرى فى فمه:

ـ لا أعدمنى الله هذا الاسم ،فإنه لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال. فسلم إلىّ المال وادعنى بأى اسم شئت.

فقال أشعب:

ـ ولا يقال أيضاً فلان كريم إلا وهو ذو مال.

فقال الكندى :

ـ لا . . . هناك فرق.

ـ وما هو ؟

ـ فى قولهم بخيل وصف لحال إقامة المال وبقائه فى مِلك صاحبه وفى قولهم كريم وصف لحال خروج المال من مِلك صاحبه.

والمال كما تعلم فى حيازته قوة ، وفى ضياعه ضعف . . فماذا ينفعنى لو قالوا كريم، وجاع بطنى وتعرّى جسدى. . ماذا ينفعنى غير شماتة الحساد أمثالك.

وظل يأكل وأشعب واقف ينظر اليه وقد استولى عليه غيظ شديد ، ثم دنا منه متلطفاً ومحاولاً النفاذ إليه من أي باب وقال:

ـ وماذا لو جالستك ساعة ، أطربك بالغناء وأضحكك حتى تزول عنك هذه

الكآبة ؟

ـ لا أريد أن أطرب أو أضحك، ثم من قال لك أن بى كآبة ؟

ـ وماذا يضيرك لو طربت أو ضحكت ؟

ـ يضيرنى أن الانسان يصير أقرب ما يكون إلى البذل والعطاء إذا طرب وضحك .

وهنا أسقط فى يد أشعب ، بعد أن أعيته مع الكندى البخيل كل حيلة . . وبعد ما أغلق الكندى دونه كل باب حاول أن يفتحه وينفذ من خلاله ليفوز ـ ولو ببيضة واحدة من البيض الكثير الذى ازدرده.

❑❑❑❑❑

# حكاية أشعب

## عندما قابل رجلاً فلاحًا

بينما كان أشعب يهيم على وجهه بالمدينة يبحث عن مكان فيه طعام ويتسمع من أفواه الناس أخباراً عن وليمة أو عرس . إذا به يقابل رجلاً فلاحاً يسوق حماره وعلى وجهه أمارات السذاجة، فقال فى نفسه :

ـ ظفرنا والله بصيد ثمين.

وأقبل على الرجل الفلاح صائحاً:

ـ حيّاك الله يا أبا زيد!من أين أقبلت؟وأين نزلت؟ومتى وافيت ؟ هلم إلى بيتى!.

فوقف الرجل دهشا وهو يقول :

ـ لست بأبى زيد ، ولكنى أبو عبيد.

فقال أشعب فى صوت المستدرك:

ـ نعم لعن الله الشيطان وأبعد النسيان ، أنسانيك والله طول العهد ، كيف حال أبيك ؟.

فقال الرجل:

ـ لقد نبت الربيع على قبره.

فصاح أشعب :

ـ إنا لله وإنا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم !.

ومد يده إلى صدره يريد أن يمزق قميصه الذى يلبسه، فقبض الرجل الفلاح على يده قائلاً:

ـ ناشدتك بالله لاتمزقه !

فأظهر أشعب التجلد والطاعة، وأبقى على ثوبه ثم جذب الرجل الفلاح من

يده وقال:

ـ هلم إلى بيتى كى نتغدى ، أو إلى السوق لنشترى شواء، نعم . . السوق أقرب وطعامها أشهى.

ومشى به إلى حانوت شواء تتصاعد منه رائحة شهية، تخترق الأنوف فتحرك البطون، وقال لصاحب الحانوت:

ـ هات لأبى زيد من هذا الشواء رطلاً أو رطلين.

ثم نظر إلى صوانى معروض فيها حلوى بحانوت مجاور لحانوت الشواء فقال لصاحبه:

ـ هات لأبى زيد من هذه الحلوى، واختر له من كل الأصناف وضع فوقها أوراق الرقاق ورش عليها شيئاً من السكر وماء الورد ليأكله أبو زيد هنيئاً مريئاً.

فانحنى الشواء بشاطوره على اللحم يقطعه ثم شواه وقدمه لهما، فجلسا وأكلا حتى شبعا.

ثم جاءهما صاحب الحلوى بصنوف كثيرة من الحلوى فقعدا وشمرا عن ساعديهما وأكلا حتى امتلآ.

ثم قام أشعب وقال للحلوانى :

ـ زن لأبي زيد من تلك الحلوى رطلين يأخذهما معه واختر له من كل صنف أجوده وأدسمه وألينه وأنعمه وما يكون سهلاً فى المضغ وسريعاً فى البلع.

ثم قال: ـ يا أبا زيد ، ماأحوجنا إلى ماء مشعشع بالثلج يبّرد جوفنا بعد هذه الأكلة النظيفة.

فقال الرجل الفلاح:

ـ صدقت.

فقام أشعب وهو يقول له:

ـ اجلس يا أبا زيد ولا تبرح مكانك حتى آتيك بسقاء.

وخرج أشعب فائزاً بالسلامة ومعدته مملوءة . ومضي النهار ، وأدرك الرجل الفلاح من إبطاء أشعب أنه لن يعود ونفذ صبره من طول الانتظار، فقام إلى حماره ،فلمحه صاحب الحانوت فتعلق بثوبه وقال له :

ـ أين ثمن ما أكلت ؟.

فقال الرجل الفلاح:

ـ لقد أكلته ضيفاً.

فلكمه صاحب الحانوت لكمة، وثنّى عليه بلطمة وقال:

ـ ضيفاً ؟ متى كنا دعوناك ؟ . . . خذ . . .

ونزل عليه الشوّاء لكما وضرباً وعاونه الحلوانى وهو يقول:

ـ زن يأبا الوقاحة رطلين.

وأخذ الرجل الفلاح يصرخ ويلعن ويصيح:

ـ لعن الله ذلك الشيخ المحتال، لقد قلت له أنا أبو عبيد وهو مصُرٌّ أن يقول لى أنت أبو زيد!

□□□□□

## حكاية أشعب
## مع ناس كانوا يأكلون بالطريق

مرت على أشعب أيام لا يجد فيها سبيلاً إلى لقمة أو شيء يتقوّت به ، فقد عرفه الناس فى المدينة فلم تعد تنفع معهم الحيلة أو الوسيلة ولم تعد تقع عينه على خوان ولا على قوم أمام طعام.

فقرر أن يترك المدينة ويذهب إلى مكة لعل أهلها يكونوا أقل لؤما وأكثر كرما من أهل المدينة.

وبينما هو سائر ذات يوم لا ينتظر شيئاولا يفكر فى شيء إذا به يلمح فى جانب من جوانب الطريق جماعة يتغدون وهم غرباء لا يعرفونه ، فدخل عليهم وقال لهم:

ـ السلام عليكم معشر اللئام!

فرفعوا أبصارهم إليه قائلين:

ـ لا والله بل كرام !

فثنى رجله فى الحال وافترش الأرض وجلس بينهم وهو يقول :

ـ اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلنى من الكاذبين !

ثم مد يده فى القصعة التى بين أيديهم وهو يقول :

ـ ماذا تأكلون؟

فأرادوا أن يصدوا هجومه على الطعام ، فقالوا فى فتور:

ـ نأكل سماً !

فحشا فمه بالطعام الذى فى القصعة وهو يقول :

ـ الحياة بعدكم حرام .

وجعل يجول فى القصعة كما يجول الفارس فى الميدان .

ولما رأوه قد أغار على أكلهم ، وكاد يحرمهم زادهم في غير حشمة ولا حياء نظروا إلى بعضهم البعض ثم التفتوا إليه قائلين:

- أيها الرجل! هل عرفت منا أحد حتى تهجم على الطعام هكذا ؟

فأشار بإصبعه إلى مافي القصعة وقال:

- والله لقد عرفت هذا ، وما عرفت غيره. بارك الله فيكم وجعلكم سنداً لجائع مثلي تكسبون فيه ثواباً إذا ما ملأتم بطنه الخاوية.

وتركهم وانصرف بعد أن ودّعوه بنظرات الحيرة والدهشة.

❑❑❑❑❑

# حكاية أشعب

## مع التاجر الذى زامله عند سفره

زامل أشعب تاجراً من التجار عند سفره من نجد إلى الحجاز وركب خلفه على جمله بعد أن احتال عليه وأوهمه بأنه لو سافر وحده ربما قطعه قاطع طريق وسلبه ماله وحاله كما قد فعل به.

ولبث أشعب معه طول الطريق إذا نزل ينزل وإذا قام يقوم، والرجل فى كل يوم يحضّر الطعام ويجهّزه وأشعب لا يصنع شيئاً.

إلى أن ضجر منه الرجل وقال له ذات يوم من أيام سفرهما:

ـ قم اليوم فاطبخ.

فقال أشعب :

ـ لا أحسن الطبخ.

فطبخ الرجل ثم قال له :

ـ قم فأثرد.

فقال أشعب:

ـ ولا هذا أحسنه.

فثرد الرجل ثم قال:

ـ قم لتغرف.

فقال أشعب:

ـ أخشى أن ينقلب على ثيابى.

فغرف الرجل ثم قال:

ـ قم الآن فكل.

فنهض أشعب قائلا: قد والله استحييت من كثرة خلافى لك. وأخشى أن تقول عنى كسلان!.. وتقدم إلى الأكل فقام فيه مقام رجلين.

❑❑❑❑❑

## حكاية أشعب

## عندما قرر أن يشترى حماراً..

فتح الله على أشعب يوماً ورزقه ببعض المال، فأراد أن يتشبه بكرام القوم وأثريائهم ، فقرر أن يشترى حماراً يركبه فى رواحه وغدوه.

فذهب إلى تاجر من تجار الحمير بسوق الحمير وقال له:

- أريد حماراً يليق بى وأليقُ به، واطلب ما شئت من ثمن.

فقال التاجر وهو ينظر إلى أشعب وإلى عرضه السخى:

- تبغى حماراً عظيم الهيئة سريع الخطوة؟.

فقال أشعب:

- أبغى حماراً ليس بالصغير المحتقر ،ولا بالكبير المشتهر، إذا خلا له الطريق تدفق، وإذا كثر الزحام ترفق، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، وإذا ركبته هام ، وإن ركبه غيرى نام.

فنظر إليه ( الحمَّار) محملقاً مشدوها ثم قال له :

- يا عبد الله اصبر فإن مسخ الله القاضى حماراً أصبت حاجتك إن شاء الله.

ثم أراه بعد ذلك حماراً حسن المنظر أنيق المظهر ليس به من الخصال ما طلب أشعب، ولكن فيه من السمات ما يغرى، فركبه أشعب من ساعته ودفع للرجل الثمن ومشى به يتبختر، مشية لم يعرفها من قبل لا على قدميه ولا على ظهر دابة.

لكن ما كان ما يشغل باله أن الناس إذا رأوه راكباً حمارا فلن يقبلوا منه تطفله ومزاحمته لهم على الموائد. وفى ذلك خسارة له وأى خسارة .



## حكاية أشعب

## فى السوق..

طالت أيام تجوال أشعب بالسوق فى غير شىء، وطال انتظاره لمن يوافيه بخبر عن عرس أو وليمة أو حتى حلقة من حلقات الذكر التى يتطوح فيها الناس ويذكرون فيها الله مرددين:

« الله حى . . . . الله حى ». .

ووقف ليفِّوت الوقت الذى لا يفوت أمام رجل يصنع أقفاصاً وأطباقاً من الخيزران. وكان فى يده طبقاً يصنعه، فقال له:

ـ سألتك بالله أن توسّعه قليلاً وأن تزيد فيه طوقًا و طوقين.

فرفع الخيزرانى رأسه وقال:

ـ ومالك أنت ؟ هل تشتريه ؟!.

فقال أشعب :

ـ لا ،ولكن ربما اشتراه شخص يهدى إلىّ فيه شيئا ذات يوم.

ثم تركه ومضى لا يلوى على شىء. وإذا به يلمح فى طرفا من أطراف السوق رجلين واقفين يتهامسان، فوقف على مقربة منهما يسترق السمع وينظر إليهما بعين مفتوحة وأخرى مقفولة.

وتصادف مرور أحد معارفه بالمكان. فرأى أشعباً واقفاً يحملق فى هذين الرجلين فقال له:

ـ أتعرفهما ؟

فقال أشعب وهو ينصرف معه خائباً:

ـ لا، ولكنى مارأيت فى حياتى اثنين يتهامسان إلا ظننتهما يتهامسان فى شأنى، أو ربما أمرا لى بشىء آكله أو أشربه

# حكاية أشعب
# عندما كان يأكل مع الكندى
# ودخل عليهما عدنان..

بينما كان أشعب جالساً مع جاره « الكندى » بعد أن داهنه ولاينه وفاز منه بدعوة للجلوس والأكل معه. إذا بالباب قد فُتح عليهم ودخل جار ثالث لهما يدعى «عدنان» قرأهما السلام وهما يأكلان، فردا عليه، ولكن لم يعرض عليه الكندى ـ صاحب المكان ـ أن يشاركهم الطعام، فشعر أشعب بالخجل ولم يتمالك نفسه حتى قال للرجل:

ـ سبحان الله !. . . لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل.

فتأدب الرجل وقال فى حياء:

ـ قد والله فعلت.

فأسرع الكندى إلى القول:

ـ مابعد القسم بالله شئ .

(فكتّف الرجل بذلك كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً)

إذ لو مد يده بعد ذلك وأكل لشهد عليه بالكفر.

ولما همّ الرجل بالانصراف قال له أشعب:

ـ إلى أين يا رجل؟

فقال:

ـ إلى منزلى أتوضأ لأصلى العصر قبل أن يفوتنى.

فقال أشعب:

ـ ولماذا لا تتوضأ هاهنا؟ فالكنيف خالٍ ونظيف وليس من الكندى حشمة ،

ومنزله منزل اخوانه.

فدخل الرجل ليتوضأ، والكندى ينفخ من الغيظ، ولحظه أشعب فقال له:

ـ هوّن عليك يارجل، إنما كل ما أبتغى أن أظهرك بمظهر الجيد الكريم وأنفى عنك مظهر البخيل اللئيم.

فقال الكندى:

ـ قد فهمنا أن تدعو الناس إلى غذائى ليقولوا أنى كريم ،لكن لا أفهم أن تدعوهم ليخرءوا عندى أيضاً .

فنهض أشعب بعد أن ملأ فمه بما تبقى من الطعام ولحق بالرجل وهو على باب الكنيف وقال له:

ـ امسك نفسك، لا تخرأ ولا تتوضأ، فالكندى سينصرف الآن إلى بعض شئونه وأنا فاتنى أن أقول لك إنى الساعة على موعد مع صديق عُرس ابنته الليلة، فتعال معى لنشهد العرس سوياً.



# حكاية أشعب

## أمام قاضى المدينة...

استدعى قاضى المدينة أشعباً بعد أن كثرت شكاية الناس منه ومن مجونه واحتياله عليهم. وقال له:

ـ يا عدو الله، أما كنت تحفظ شيئا من الحديث الشريف ، حفظك للنوادر والسخافات التي ترددها وتحتال بها على الناس لتسلبهم أموالهم أو تأكل طعامهم. أما كان ذلك أنفع لك وللمسلمين ؟!

فقال أشعب:

ـ قد ـ والله ـ فعلت.

فقال القاضى:

ـ أسمعنى إذن ماحفظت .

فتنحنح أشعب ثم قال:

ـ حدثنى نافع، عن عمر ، عن النبى ﷺ أنه قال:

«من كان فيه خلصتان كتب عند الله خالصاً مخلصاً».

فقال القاضى:

ـ هذا حديث حسن ، فما هما هاتان الخِصلتان؟

فحار أشعب وتلعثم وهرش رأسه ثم قال :

ـ نسى نافع واحدة .

فقال القاضى:

ـ والأخرى ؟

ـ والأخرى . . . . نسيتها أنا.

فأمر القاضى بأن يجلد ثلاثين جلدة.

## حكاية أشعب

## وصاحبه نعمان عندما تحايلا على

## الكندى ليفوزا بالعشاء عنده

نما إلى علم أشعب أن جاره « الكندى » بخيل عصره وأوانه لديه داراً يبحث لها عن ساكن يسكنها . فقال فى نفسه : « والله لأتحايلن عليه وأقول له عندى لك ساكن حتى أفوز بعشاء عنده»

فذهب من فوره إلى الكندى وقال :

ـ وجدت لك ساكنا جديداً.

فقال الكندى :

ـ أين هو . . عجل بإحضاره.

فقال أشعب:

ـ ألا ترى ـ وأنت ذو سعة ومال أن أحضره لك بعد أن تعد لنا شيئاً نتعشى به ثلاثتنا وبعد العشاء يصير الاتفاق.

فقال الكندى:

ـ إن كان ولابد ـ والأمر من قبل ومن بعد لله، فلدينا فرخ اليمام الذى سقط اليوم من فوق النخلة، وكنا ندخره للغداء باكر. فانصرف الآن وادعوا للحضور .

فجرى أشعب إلى صاحبه نعمان وقص عليه الأمر ورجاه أن يذهب معه إلى داز الكندى باعتباره الساكن المنتظر حتى يظفرا بالعشاء. وبعد العشاء يعاين الدار ثم يتعلل بأى علة ويظهر عدم مناسبة الدار له.

وماهى إلاساعة حتى أقبل الاثنان على دار الكندى الذى كان قد أعد المائدة وجلس فى انتظارهما.

وجلس أشعب من فوره أمام الطعام وأجلس صاحبه نعمان إلى جواره.

ثم أشار إلى صاحبه بعد أن غمزه بكوعه وقال:

- لقد انتظرت صاحبى هذا انتظار الآكل للشبع!

- انتظرته اذن قليلاً ؟

فقال النعمان:

- نعم لقد انتظرنى مقدار ما يأكل انسان رغيفا.

ومد يده وأخذ رغيفاً. فقال الكندى:

- لقد انتظرك اذن طويلاً.

ولم يلتفت الضيفان إلى صاحب الدار، ولم يجيباه بعد ذلك. فقد انشغلا بنسف ما أمامهما من طعام، دون أن يتركا للكندى أى فرصة ليتناول معهما أى شىء.

فقال الكندى وهو يكاد ينفجر من الغيظ:

- قالت الحكماء : عليكم بشراب الماء على الغداء، فلو شرب الناس الماء مع الطعام ما اتخموا. وذلك لأن الرجل لا يعرف مقدار ما أكل حتى يشرب، فربما كان شبعانا وهو لا يدرى.

فقال النعمان:

- شعبان ! . . . والله نحن لنسمع بالشبع سماعاً.

ثم مد يده إلى الخبز ليتناول رغيفاً آخر، فغمزه أشعب هامساً: - تمهل وتحشم، حتى لا يفطن إلينا، ويمنعنا ما نحن فيه، فأنت لا تعرفه: فلأن يطعن طاعن فى الإسلام أهون عليه من أن يطعن فى الرغيف الثانى .

فسحب نعمان يده كالملسوع وهمس فى أذن أشعب:

- وهل يريد أن يكون بين الرغيف والرغيف فترة نبى؟!

ولحظهما الكندى ، فظن أنها يتهامسان فى شأن رغيف الخبز ويستصغران

حجمه، فأمسك برغيف فى يده وقال:

ـ يقولون أن خبزى صغير ! فمن الزانى ابن الزانية الذى يستطيع أن يأكل رغيفين منه؟.

فبهت نعمان وأراد إن يفتح فمه بالكلام فعاجله أشعب بأن قال:

ـ مالك ، لا تأكل يا كندى؟!

فقال الكندى :

ـ وهل تركتما لي ولو جناحًا من اليمامة آكله ولم أفعل ؟!

ثم رفع أشعب يديه إلى السماء وقال:ـ مَنّ الله عليك يا كندى بصحة الجسم وبسطة اليد، وسعة الصدر وكثرة الأكل ونقاء المعدة وأمتعك بضرس طحون ومعدة هضوم، مع السعة والدعة والأمن والعافية. . . هذه دعوة مغفول عنها.

ثم راح أشعب ونعمان يدللان الكندى ويضحكانه، ولم يشكا أنه سيأتيهما بنبيذ معتق يواصلان به ليلهما الطويل . ولكن الكندى تغافل عنهما وتظاهر بالنعاس .

فقال أشعب ملمّحاً:

ـ والله إن المجلس الذى يخلو من نبيذ والغناء لهو كالبيت الخرب.

لكن الكندى ظل على حال تغافله، فأقبل عليه أشعب وقال:

ـ اجعلها مرة ليس لها أخت ، ودعوة لن تعود إلى مثلها. . واضحك ليلة فى العمر بقليل من النبيذ.

وأمام هذا الإلحاح الطويل لم يجد الكندى مفراً من الاستجابة فقام وأحضر لهما قربة نبيذ وثلاثة أكواب وضعها بين يدى أشعب قائلاً:

ـ الآن غن واطربنا.

فانقض أشعب ونعمان وشربا شرب العطاشى،ثم رفع أشعب عقيرته بالغناء وأنشد:

**امدح الكأس ومن أبدعها وأهج قوما قتلونا بالعطش.**

**إنما الكأس ربيع باكـــــر فإن لم نذقها لم نعـــــش.**

فطرب الكندى ولكنه قال كالمخاطب نفسه:

ـ والله ما قتلوكم بالعطش . . ولكنكم أنتم قتلتم أنفسكم بالشره وملأ كأسه، ثم أفرغها فى جوفه . وملأ أشعب كأسه وكأس نعمان صاحبه. وواصل انشاده حتى طرب الكندى وشق قميصه من شدة الطرب ثم قال لأشعب:

ـ افعل بنفسك مثل ما فعلت بنفسى.

فنظر اليه أشعب دهشا ولم يفعل.

فصاح الكندى:

ـ ويلك، شق قميصك أنت أيضا.

فقال أشعب وقد تملكه الجزع:

ـ أصلحك الله، أتريد أن أشقه وليس لى غيره.

فقال الكندى :

ـ شقة وأنا أكسوك غداً.

فقال أشعب:

ـ فأنا إذن أشقه غداً.

فقال الكندى :

ـ وماذا أصنع بشقك غداً.

فقال أشعب:

ـ وماذا أرجو من شقه غداً.

وظلا يتساومان فى ذلك وقتا طويلا حتى صاح نعمان فى الكندى :

ـ ما كل هذا ؟ إذا كنت قد طربت الآن حقاً، وتريده أن يشق قميصه مثلما

شققت قميصك، فاكسه الآن بالقميص، وخلصنا.

وهزت الكندى نشوة الخمر، وفى غفلة من غريزته النائمة قام يتعثر ومضى ليعود وفى يده قميص كسا به أشعب. فلما صار القميص على أشعب وأدرك أنها لحظة نادرة الوجود. وخاف أن يعود الكندى إلى يقظته ويسترد القميص، تحين الفرصة وأوهم الكندى أنه ذاهب لقضاء حاجته ثم مضى من فوره بالقميص إلى منزله. تاركا صاحبه نعمان مع الكندى . يفعل بهما الخمر ما يفعل .



# حكاية أشعب

## عندما خرج يصطاد مع صاحبه نعمان

خطر على بال أشعب صديقه نعمان، واشتاق لرؤيته، لكنه لم يكن يدري أين اختفى. فخرج ودار فى الأزقة والطرقات يبحث عنه حتى انتابه اليأس فجلس فى أول السوق يفكر فى أمر غده. واذا نعمان قد أقبل يحمل قوساً وسهماً ويجر كلباً وراءه. وماأن رآه أشعب حتى صاح به:

ـ أين كنت؟ أخزاك الله .

فقال نعمان:

ـ فى الصيد، خيّبك الله .

ـ أى صيد ؟

ـ صيد الطير والظباء. إنه لعمل أجدى عليك من هذا القعود تنظر مالايجىء. قم معى إلى الرزق الحلال، تستمتع بالصيد الشهى واللحم الطرى والهواء النقى. .

فنظر أشعب إلى مافى يد صاحبه وقال:

ـ لكن من أين حصلت على هذا القوس وهذه السهام.

ـ بعت خاتمى . . . . هلم نشترى لك قوساً بما معك من الدنانير.

وتحسس أشعب الدنانير فى جيبه ثم قال:

ـ أنا الآن فى أمان من الجوع ليلتين أو ثلاثا مع ماأملك من دنانير.

فقال نعمان:

ـ أتضيّع رأس المال فى طعام ليلتين أو ثلاث وتقعد بعد ذلك تتلوى من الجوع.

فقال أشعب:

ـ وهل تريد أن أضيّع طعاماً مضموناً فى يدى بطعام مازال هائما فى الخلاء بين الأرض والسماء قد يصاد وقد لا يصاد.

وبكثير من الاحتيال نجح نعمان فى أخذ الدنانير من أشعب ثم جذب صاحبه من كمه ومشى به قسرًا إلى البائع واختار له قوساً.

فأمسك به أشعب ونظر إليه فارتاحت نفسه لحمله. فقال للبائع:

ـ بكم هذا القوس؟

ـ أقل ثمن له دينار.

ـ دينار! والله لو أنى رميت به طائراً فى السماء فوقع مشوياً بين رغيفين، ما دفعت فيه ديناراً أبداً.

فنظر البائع إلى نعمان نظرة المستجير، فتدخل نعمان فى الأمر وهمس فى أذن أشعب:

ـ الثمن ليس غاليا، فلقد اشتريت قوسى هذا بأكثر من دينار، وقوسك أفضل من قوسى.

ولم ينتظر نعمان رأى صاحبه، فأسرع وأعطى البائع ما طلبه وجذب ذراع أشعب وانصرفا. ولم تمضى ساعة حتى كان الصديقان يضربان فى الفلاة وكل منهما يحمل قوسه وخلفهما الكلب وعيونهما شائعة بين الأرض والسماء تفتش عن الصيد. ومضى أكثر النهار وهما يمشيان ويبحثان وإذا بالكلب ينبح فجأة وينطق كالبرق فى أثر شىء مر أمامهما. فنظر فإذا هو ظبى. فوقفا، ووقف قلب أشعب من الفرحة والاضطراب. وأمسك كلاً منهما بقوسه، ورمى نعمان فأخطأ الظبى، ثم رمى أشعب فأصاب الكلب وهرب الصيد .. وجلس الصديقان أخيراً بعد أن أصابهما التعب والجوع والفجيعة فى ثالثهما الذى مات.



# حكاية أشعب

# عندما ذهب ليقترض من الكندى

كان أشعب عائدا إلى بيته ذات يوم . . وأشعب لا يذكر بيته إلا يوم تضيق به الدنيا، فصادف الكندى ـ جاره واقفاً بباب داره . .

فما رآه الكندى حتى خف إليه وعانقه عناق المشتاق وقال فى صوت المعاتب:

ـ ألا عدتنى وقد كنت مريضاً؟

فقال أشعب:

ـ جُعلت فداك، متى مرضت ؟

فقال الكندى:

ـ بعد أربعين يوماً من تاريخ اليوم الذى أهديتك فيه القميص . . .

فقال أشعب:

ـ بعد أربعين يوما من تاريخ القميص! . . أى قميص ؟ . . آه تذكرت . . القميص الذى جئتنى صباح اليوم التالى لتطلبه منى. ثم التفت إلى الكندى قائلا:

ـ الحمد لله عل كل حال . . . إذ رأيتك وقد رد الله إليك العافية.

ورأى أشعب أن ينتفع بهذا الشوق والود، وحدثته نفسه أن يفضي إلى الكندى بما جاء له، فجلس إلى جواره وتنحنح وقال:

ـ لى عندك حاجة.

فقال الكندى كالمخطوف:

ـ ولى عندك أنا أيضاً حاجة.

فقال أشعب واجماً:

ـ وما حاجتك؟.

فقال الكندى:

ـ لن أذكرها لك حتى تضمن لى قضاءها.

فقال أشعب :

ـ موافق.

فقال الكندى:

ـ حاجتى أن لا تسألنى هذه الحاجة.

فقال أشعب :

ـ ولكنك لاتدرى ماهى

فقال الكندى:

ـ بلى . . أدرى.

فقال أشعب :

ـ فما هى ؟

فقال الكندى :

ـ هى حاجة، ولا يكون الشيء حاجة إلا ويستدعى شيئا من الكلفة:

فقال أشعب متخابثا:

ـ هذا حق. ولكن ... أنت خير من يتكلف لى .وقد جئتك لتسلفنى وتؤخرنى...

فقال الكندى:

ـ هاتان حاجتان.

فقال أشعب :

ـ نعم.

فقال الكندى:

ـ واذا قضيت لك إحداهما؟

فقال أشعب من فوره:

رضيت.

فقال الكندى:

ـ أؤخرك ماشئت ولا أسلّفك.

فيئس منه أشعب. ولم ير فى الكلام معه غير إنفاق الوقت فى غير طائل.

وقام لينصرف، ففكر الكندى لحظة ثم صاح به:

ـ والله لا أجعلك تنصرف خائباً، عندى لك قربة من عسل الرُطب، جاءتنى هدية من البصرة، بعها إن أردت واقض حاجتك!

فعجب أشعب، ولم يصدق أذنيه، وأنكر ذلك من مذهب الكندى، ولم يعرف جهة تدبيره، وهو يعلم أنه إنما يجزع من الإعطاء وهو عدوه، وأما الأخذ فهو ضالته وأمنيته، وأنه لو أعطى أفاعى سجستان وثعابين مصر وحيات الأهواز لأخذها إذا كان اسم الأخذ مكتوباً عليها. فكيف يعطيه هذه الهدية التى جاءته بهذا الكرم؟ وجعل أشعب يحتال عليه ليعرف منه السبب. والكندى يتمنع ثم باح بسره آخر الأمر قائلا:

ـ هذه الهدية التى جاءتنى، خسائرها أضعاف مكاسبها.

فقال له أشعب:

ـ لعل أول خسارة التعبير عن الشكر برد نظيرها .

فقال الكندى :

ـ هذا لم يخطر لى قط على بال .

فقال أشعب :

ـ إذن ، ما هى تلك الأسباب التى تجعل خسائرها أكثر من مكاسبها؟

فقال الكندى :

ـ إذا وصلت قربة العسل إلى المنزل صارت سببا لطلب العصيدة وأشباه العصيدة، وهذا يجرنا إلى شراء السمن والسكر وخلافه.

واذا ما صرفنا النظر عن العصيدة وقلنا نصنع من العسل نبيذاً، احتجنا إلى قدور وإلى نار توقد تحت القدور وإلى من يتفرغ لتلك النار. واذا ما صنعنا النبيذ وعلم الصديق أو النديم أن عندى نبيذاً دق الباب دق المدل، فإن حجبناه فبلاء، وإن أدخلناه فشقاء، إذ لابد للشراب من شىء من لحم أو نُقل يؤكل معه، وهذا كله غرم، إن رضيت به فقد شاركت المسرفين، وفارقت اخوانى من المصلحين، فإذا صرت كذلك فقد ذهب كسبى من مال غيرى وصار غيرى يكسب منى، وأنا لو ابتليت بأحدهما لم أقم من الصدمة، فكيف إذا ابتليت بأن أعطى ولا آخذ؟ أعوذ بالله من الخذلان بعد العصمة.

فقال أشعب :

ـ اذا كان الأمر كذلك، وخطره عليك جسيما ،فأنا لتلك القربة من العسل . وأخذ القربة ، فأعطى نصفها لعياله وحمل النصف الآخر إلى السوق فباعه وقبض ثمنه.



# حكاية أشعب

## مع تلميذه حسان [١]

كثيرا ما كان جماعة الطفيليين يلتمون حول أشعب فى طرف من أطراف السوق يستمعون إلى حديثه ويتسامرون معه ويتلقون منه النصح والإرشاد . ويبادلونه ويبادلهم أخبار الولائم والمآتم والأعراس . . . التى يجتمع فيها ذوى الشأن العالى من الناس وذوى الاعتبار الذين تمد لهم الموائد وعلى شرفهم تذبح الذبائح . .

واحد من هولاء الطفيليين الصغار كان يلازم أشعب ملازمة الظل إذا راح أو إذا جاء . . وكان يحمل له أحياناً بعض الطعام ويتلطف معه ويترضاه ليرضى عنه ويأخذ منه بعض أساليب الصنعة ويتعلم منه فنون شغلانة التطفل . .

وكان هذا الواحد بالنسبة لأشعب مثل التلميذ بالنسبة لأستاذه، جاءه ذات مساء حاملاً فى يده طبقاً فيه تمر وقعد بين يديه وقال له وهو يقدم إليه الطبق:

ـ انصحنى يا مُعلم.

فوضع أشعب الطبق فى حجره وأخذ يأكل مرة ويتأمل مرة ، ثم تنحنح وقال:

ـ إذا أكرمك الله ودخلت عرساً من الأعراس فلا تتلفت تلفت المستريب. ، وتخير المجلس الذى تجلس فيه من بين مجالس الناس، وإن كان العرس كثير الزحام فلتمضى إلى الأمام دون أن تنظر فى عيون الناس . حتى يظن أهل العروس أنك من أهل العريس ويظن أهل العريس أنك من أهل العروس. وإذا كان البواب أو الواقف على باب العرس غليظاً أو فظاً فلتبدأ به ، فتأمره وتنهاه من غير أن تعنف عليه، واحرص على أن تستعمل معه لهجة فيها اللين وفيها الشدة.

ثم سكت أشعب واشتغل عن تلميذه بمضغ حبات التمر إلى أن قال التلميذ:

ـ زدنى .

فقال:

- إذا وجدت الطعام . . . فى العرس أو فى أى مكان . . . فكل منه كأنك لم تره من قبل . . . وتزود منه زاد من لايراه أبداً.

- زدنى .

- أما إذا دعيت إلى وليمة - إن شاء الله تعالى وكان يريد لك الخير، فإياك . . . ثم اياك أن تتلكأ أو تتباطأ أو تتأخر عن موعدها.

استخر الله أولاً ثم توكل عليه وكن من السابقين وأول الوافدين.

واعلم أنه لا يجىء فى أول الأوقات إلا أكابر الناس وأثرياءهم. . . وقعودك مع هؤلاء فيه غاية الفائدة والمنفعة. فأنت معهم تكون فى أمان واطمئنان . . لا تسمع إلا كل حديث ظريف وكل خبر طريف فالزم هذه الفئة واحرص على أن لا يزايل سوادك بياضهم فتهلك . فهؤلاء هم الذين يؤدون لك حقك ويكرمونك، وتعرف معهم كل بشرٍ وحبور . . فصلوات الله عليهم وعلى من ولدهم.

واعلّم أن قعودك على أول مائدة فيه خصال كثيرة محمودة . . .

فأنت أول من يغسل يده قبل الأكل وأول من يوضع بين يديه خوان وأول من يشرب الشراب وأول من يتبخر وأول من يتعطر . ثم إن قعودك على أول مائدة يعنى أن تأكل رؤوس القدور وصدور الطيور . .

واعلم أن خير اللحم ماقد جاور العظم كما يقال خير الأنام والمرسلين.

وسكت أشعب حتى استحثه التلميذ قائلا :

- زدنى.

فقال :

- قلنا إذا بكّرت فى الحضور كان كل شىء من أمرك مستور. . أما إذا تأخرت أو تكاسلت فقد عطبت وهلكت. فجلوسك يأتى على آخر مائدة، مع مساكين الأقوام وجيران المكان، الذين ما أن يقول لهم صاحب الدار: تفضلوا . حتى ينهضوا مسرعين ومتزاحمين يدفع بعضهم بعضاً بالأكتاف، وينقضوا على الخوان

ذات اليمين وذات الشمال بلا أى حياء أو نظام، ولا تنسى أن ما يقدم لهم لا يكون إلا بقايا اللحوم والطعوم. . . وماذا يكون حال من يأكل مع هؤلاء ؟ . . . انه يخرج من العرس أو الوليمة وكل نصيبه منها شم الطعام ومصمصة العظام.

ثم سكت أشعب ولكزة تلميذه ليستعجله النصح فقال:

ـ اذا قمت عن المائدة بعد امتلاء بطنك، فاقعد وسط الدار، ولا تقعد فى صدر المكان، فإن الصدر لا يقعد فيه إلا مغن أو مخرف، ثم ادع بالشراب، فإذا جاءك نبيذ فإياك أن تخلطه بالماء . . فإذا حضر النبيذ بَطُل الماء . . هذه قاعدة احفظها ولا تنساها . . . ولا تكن أنت الساقى . . كن ذنبا ولا تكن رأساً . . وإذا وضعت أمامك فاكهة، فقم واجذب منها ولاتنتظر من يحملها إليك . . . وإذا كان بالمجلس مغنية أو جارية ذات حسن ودلال فإياك أن تولع بها أو تغازلها. ثم إياك بعد أن تشرب أن تسكر، أو يتوه عقلك ، فتخرج من فمك كلمة نابية أو يرى القوم منك فعلاً فاضحاً أو مرذولاً.

اشرب خمسة أقداح أو ستة وإن خشيت على نفسك من السكر فقم وأنت صحيح وعقلك معك ،فلا يفتضح أمرك أو ينكشف سرك.

وسكت أشعب أخيراً ثم قال بعد أن ابتلع تمرة كان يمضغها:

ـ هذا ما عندى لك من النصيحة، فأفهم وتعلم، متَّعك الله بسعة الصدر وصحة البطن والصبر على المضغ. إنها دعوة مغفول عنها.



# حكاية أشعب

## فى العــرس [١]

ما أن انتهى أشعب من بث نصائحه وتعاليمه إلى تلميذه، حتى أقبل عليهما جماعة من أصحابهما الطفيليين وهم يتصايحون ويتهللون. فعلم أشعب قبل أن يخبروه أنها وليمة، فوثب على قدميه وقام التلميذ لقيامة. ثم صاح فى الجماعة المقبلة:

- أين ؟

فقالوا:

- اتبعنا.

فشمر عن ساقيه وقال لهم:

- بل اتبعونى أنتم.

فساروا خلفه وهو ينظر إلى السماء ويدعو الله قائلاً:

- اللهم لا تجعل البواب لكَّاذا فى الصدور، دفاعا فى الظهور، طَراحاً للقلانس، هب لنا رأفته وبشره وسهّل لنا اذنه !وقبيل باب الدار المقصودة اعتدل فى مشيته وانتفخ فى عباءته وشمخ بأنفه وسار متهادياً متعالياً متباطئاً، ودخل دون أن ينظر إلى البواب الذى أفسح له غير مجترىء على اعتراضه ظانا أنه ذو مقام وصاحب اعتبار، وتبعه صبيانه وهم يشيرون إليه وينظرون إلى البواب و كأنهم يقولون له : نحن أصحابه.

ومأأن شعر أشعب بقدميه داخل الدار هو وأصحابه حتى سارع إلى مكان الجلوس، فجلس وأجلسهم حوله.

وعندما أحضرت الخوانات، التفوا حول خوان منها، وقبل أن تمتد أياديهم إليها قال أشعب:

ـ افتحوا أفواهكم ، وأقيموا أعناقكم ولا تنحنون بأجسادكم، وأجيدوا اللهف واشرعوا الاكف، ولا تمضغوا مضغ المتعللين، أو الشباع المتخمين، واذكروا سوء المنقلب وخشية المضطرب وشمّر عن ساعديه واذا بتلميذه قد تعلق بكمه قائلاً:

ـ انصحنى يا معلم.

فنظر إليه شذراً وقال:

ـ أهذا وقت نصائح يا مغفل . ثم ألم تحفظ نصائحى التى قلتها لك من قبل وأنا آكل التمر. وعندما ذكر التمر تذكر هدايا هذا التلميذ وأطباق طعامه التى يأتيه بها فى أوقات العسر والمحنة فتلطف معه وقال:

ـ انظر إلىَّ ولا تخالفنى فى قول أو فعل.

وانهمك فى الأكل ، كما انهمك أصحابه فيه ، وبين كل فترة قصيرة وأخرى كان يشير على تلميذه ويقول له كل من هذا لقمه أو كل من ذاك لقمتين . لافتا نظرة إلى كل ما غلا ثمنه وعلا شأنه من صنوف المطبوخ أو المقلى أو المشوى.

ولبث أشعب وأصحابه على هذا الحال يأكلون . . . وانشغلوا بأمر بطونهم عن مائدة عظيمة قد مُدت أمام قوم بدا على مظهرهم النعمة والثراء وكان يتوسطهم والى المدينة، الذى لم يفطن أشعب إلى وجوده بينهم لأول مرة. ولكن الوالى هو الذى فطن إليه وعرفه، فمال على صاحب البيت وقال له مشيراً بأصبعه:

ـ من صاحب القلنسوة الطويلة والطيلسان الأخضر الذى يجلس هناك؟

فقال صاحب الدار:

ـ مد الله فى عمر الوالى، هذا رجل يدعى أشعب، يشهد الولائم سواء دعى إليها أو لم يدع.

فقال الوالى :

ـ آه سمعت عنه ، إذا أكل جئنى به.

ولما فرغ الناس من الطعام، ورفعت الموائد، أسرع صاحب البيت إلى أشعب وأحضره إلى الوالى، ولما صار بين يديه قال له:

ـ هل دعاك أحد إلى هذه الوليمة يا هذا؟

فوقع أشعب فى حيرة وتلعثم ثم قال:

ـ لا والله.

فقال الوالى:

ـ ألا تعلم أن من جاء إلى طعام لم يدع إليه كان سارقاً، واذا أكل منه أكل حراماً.

ـ لا والله . . . ما أكلت إلا حلالاً.

فنظر إليه الوالى دهشاً وقال:

ـ كيف ذلك؟

فأجاب أشعب:

ـ ألا يقول صاحب الوليمة لأهل بيته ولجارته التى تخبز رتطبخ:

«زيدوا فى كل شىء» وإذا أراد أن يطعم مائة من الناس رتب الأمر لمائة وعشرين وهو يقول « قد يجيئنا من نريد ومن لا نريد». .

فأنا إذن ممن لا يريد. .

فابتسم الوالي معجباً بفصاحة أشعب ثم قال له:

ـ يا أشعب . . . سلنى حاجتك.

فقال أشعب:

ـ أطال الله بقاءك يا والينا .. حاجتى أن تكتب لى منشوراً تذيعه على العباد... فلا يدخل على أحد فى هذه ( الشغلانة) إلا ويدى عليه مطلقة وأمرى إليه نافذ.

فضحك الوالى وضحك صاحب الدار . الذى أمر بأن تجهز له قصعة فيها من كل صنوف الطعام يحملها معه وينصرف.

□□□□□

# حكاية أشعب

## فى العــرس [٢]

بعد أن طاف أشعب وصاحبه نعمان بكل الأسواق، أخذايطوفان بطرقات المدينة وأزقتها وقد أعياهما الجوع وضاقت بهما الحياة، ولم يبق لهما من سالف الأيام العامرة بالموائد والأعراس غير ذكرى تعاودهما فى كل ليلة . . . وكان أشعب يرفع صوته بالغناء ليقضى على الملل الذى أصابهما من طوافهما الطويل ويقول:

شربنا كئوس السعد حتى كأننا ملـوك لهم فى كل ناحية وفر.

فلما اعتلت شمس النهار رأيتنا تخلى الغنى عنا وعاودنا الفقر.

ولما حل بهما التعب، التفت نعمان إلى صاحبه أشعب وقال:

ـ مالنا نمشى فى غير حاجة؟

فقال أشعب:

ـ صدقت . . . ،الله لقد أنسانا العز الذى كنا فيه وصايا أساتذة التطفل العظام رحمهم الله الذين جاء فى بعض نصائحهم وفى وصاياهم الذهبية: « لا تمش إلى موضع لا تمضغ فيه شيئا »

ورد عليه نعمان:

ـ لو عرفنا موضع المضغ !

وقال أشعب:

لمشينا إليه دهراً.

وتنهّد الرجلان، ووصلا مسيرهما إلى أن انتاب نعمان اليأس من إيجاد وليمة أو عرس أو مجرد رجل يأكل ـ وضع الله فى قلبه شيئا من الرحمة ـ يقول لم: «تفضلا كلا معى ».

فقال لأشعب:

ـ امض أنت فى طريقك وأنا سأعود ثانية إلى السوق الكبير علّنى أجد هناك شئ يُصلحْ داء المعدة.

ومضى أشعب وحيداً، قانطا، لا يعرف أين يذهب ... واذا بالفرج يَلُوح له فى هيئة أنوار وزينات تحيط بدار من الدور فصاح فى نفسه:

ـ والله إنه لعرس .. وأى عرس.

وركض من فوره إليه، ولكنه وجد دونه بابا كبيراً مغلقاً عليه بواب وقح غليظ الطبع، يسب من لا يعرف من القادمين ويدفعهم بيده الثقيلة فى صدورهم . فعلم أشعب أن لا سبيل إلى دخول الدار إلا بالحيلة ... التي ما وهبه الله شيئا سواها .. فانطلق من فوره يسأل عن صاحب العُرس : هل له ولد غائب أو شريك فى سفر؟ ..

فعلم أن الولد غائب فى اليمن وأنه أخو العروس ... فأحضر فى الحال ورقة بيضاء وطواها مرتين ووضعها بداخل ورقة أخري على شكل غلاف وكتب على الغلاف : « من الأخ إلى العروس »

ثم أقدم متدللاً ودق على الباب فقال له البواب:

ـ من أنت ؟ ..

فقال :

ـ افتح يا هذا .. أنا رسول من عند أخى العروس.

ففتح له البواب ودخل ،واستقبله صاحب الدار فرِحاً وقال له:

ـ كيف حال ولدنا؟

فقال أشعب:

ـ بأحسن حال.

ثم مال بجذعه وأمسك ببطنه وتلوي كمن أصابه ألم شديد بها .

فقال صاحب الدار:

ـ مالك ؟ هل يوجعك شيء ؟!

فقال أشعب:

ـ الطريق . . . الطريق كانت طويلة والسفر كان مجهداً وشعرت الآن فقط بالجوع الشديد.

فأمر صاحب العرس بأن يقدم له طعام وشراب . . . وانهمك أشعب فى الأكل والشرب . . . ولم يرفع رأسه عن خوان الطعام إلا عندما سأله صاحب العرس:

ـ قلت إن ابننا بأحسن حال . . وعلى ذلك نحمد الله، ولكن هل معك رسالة منه؟

فقال أشعب:

نعم.

ودفع اليه بالورقة المطوية، فأخذها الرجل، وفضها ولم يجد بها شيئا مكتوبا، فاندهش وقال لأشعب:

ـ ولكن الرسالة ليس بها شيء مكتوب !

فقال أشعب ـ وكان يوشك على الانتهاء من الطعام الذى أمامه:

ـ نعم ، فولدك كان فى عجلة من أمره، فاكتفى بالورقة دون أن يكتب فيها شيئاً.

فنظر إليه صاحب العرس شذراً ـ وقد أدرك أنه خدع، فقال :

ـ أطفيلى أنت ؟

فأجاب أشعب وهو ما يزال يمضغ الطعام :

ـ نعم ، أصلحك الله.

فقال الرجل :

ـ كل ، لا هنّاك الله.

# حكاية أشعب

## فى العــرس [٣]

لم تكن الحيلة تنقص أشعب أو صاحبه نعمان، إنما الذى كان ينقصهما هو العلم بمكان الولائم والأعراس، فدون ذلك بحث طويل وجهد كثير، ولم يفتح الله عليهما بحل لهذه المعضلة، إلى أن خطر ببال نعمان يوماً خاطر .

فقال لأشعب :

ـ لا يعرف مكان الولائم والأعراس غير غلمان الأزقة والطرقات،

فهم ينتشرون فى مكان ، ولهم علم بكل شأن . ولعل من بين عيالك من تشرد مثلهم، فأوصِ الأشد منهم أن يأتينا بالأخبار.

ولم يمض يوم حتى جاء ابن أشعب يجرى، فأخبرهما أنه مر بباب قوم عندهم وليمة.

فأسرع ثلاثتهم إلى تلك الدار ودخلوا، فوجدوا أ نفسهم فى مواجهة صاحب الدار الذى أشار إلى سلم يستند على جدار وقال لهم: اصعدوا.

فصعدوا ليجدوا أنفسهم فى غرفة خالية بأعلى الدار. وتوالى الصعود إلى هذه الغرفة حتى وصل عدد من فى الغرفة ثلاثة عشر طفيليا.

ثم رُفع السلم ، ووضعت الموائد فى أسفل الدار. وظل أشعب ومن معه ينظرون إلى الموائد الممدودة من علٍ، وقد أخذتهم الدهشة والحيرة.

وقال بعضهم:

ـ مامر بنا مثل هذا قط.

فنظر أشعب إلى الموجودين معه بتلك الغرفة العلوية وتفّحص وجوههم

ثم قال:

ما صناعتكم يا فتيان؟

فقالوا فى نفس واحد:

ـ على باب الله .

فقال لهم :

ـ ما عندكم فى هذا المأزق الذى وقعنا فيه؟! . .

فأجابوا:

ـ والله ماعندنا فيه حيلة ! فما صادفنا مثل ذلك من قبل.

فقال لهم :

ـ وإذا دبّرت لكم حيلة حتى تأكلوا وتنزلوا، هل تقرون وتعترفون بأننى شيخ صناعتكم وأعلمكم بشغلانة التطفل؟

فنظروا إليه ثم قالوا:

ـ ومن تكون أنت ؟

فقال : ـ من أكون ؟! . . أنا أشعب.

فقالوا على الفور:

ـ والله إنا لنسمع عنك، وكنا فى اشتياق لرؤياك . . ونسلم لك ونعترف بأنك أميرنا قبل أن تحتال لنا وتخرجنا من هذا المأزق.

فقام أشعب ، وأطل على صاحب الدار وضيوفه وهم يأكلون، ثم صاح:

ـ يا صاحب الدار .

فرفع الرجل رأسه وقال:

ـ ماذا تريد ؟

فقال :

ـ أيهما أحب اليك ، أن تأمر لنا بخوان كبير عليه من صنوف الطعام ما تشاء مما لذ وطاب، نأكل وننزل، أم أرمى بنفسى من هذا العلو فيخرج من دارك الآن قتيل وينقلب عرسك مأتما.

ثم لملم طرف ثوبه وقبض عليه بأسنانه وتحرك للخلف وللأمام كأنه يريد أن يعدو ويرمى بنفسه:

فقال صاحب الدار:

ـ اصبر . . .ويلك . . . لا تفعل.

وفي الحال جيء بالسلم وأسند على الجدار، وصعد إليهم غلام يحمل خوانًا كبيرا فانقضوا عليه مثل جوارح الطير . . .

وجعل ابن أشعب يأكل ، ثم يشرب، ثم يأكل ، حتى لم يبق شيء يؤكل. فقاموا وعند ذاك انتحى أشعب بابنه ناحية ولطمه على وجهه هامساً:

ـ لو جعلت مكان كأس الماء الذى شربته أكلاً . . . أما كان أصلح لك ؟!

فأجاب الابن على الفور:

ـ إن كأس الماء يوسع محلاً للأكل.

فتأمل أشعب كلام ابنه لحظة ، ثم صفعه على قفاه وقال:

ـ لِم لَم تنبهنى إلى ذلك قبل أن نأكل يا أعور.

❑❑❑❑❑

# حكاية أشعب

## فى العـــرس [٤]

وقف أشعب أمام باب العرس المغلق دونه متحيرًا، ولا يعرف ماذا يصنع ليدخل، وفجأة وهو يعض بنانه لمح فى اصبعه خاتما كان قد بقى له من أيام العز. فذهب من فوره إلى تاجر رهونات ورهن لديه الخاتم ثم اشترى عشرة أقداح وتوجه بها مباشرة إلى باب العرس .

ودق عليه صائحاً:

- يابواب افتح.

فرد عليه البواب من الداخل:

- من أنت ؟

فقال :

- يا رجل ألا تعرفنى . . . أنسيتنى هكذا سريعا . . أنا الذى بعثونى لأشترى لهم هذه الأقداح.

ففتح له البواب، ودخل ، وفتش بعينيه سريعا عن مكان الطعام حتي وجده، فدخل مباشرة عليه وأكل وشرب مع من يأكلون ويشربون حتى امتلأت بطنه، فقام وأخذ الأقداح وخرج وذهب لبائع الأقداح وردّها له، ثم ذهب إلى تاجر الرهونات واسترد خاتمه.



# حكاية أشعب

# مع تلميذه حسان [٢]

كان أشعب جالسا على إحدى المصاطب بالسوق . . وحياة أشعب ـ كما نعرف ـ يقضيها إما فى أحد الولائم أو فى أحد الأعراس أو متجولاً بين الباعة فى السوق . . أو جالسا على مصطبة عالية بأحد أطراف السوق يراقب الناس.

وبينما هو جالس يفرك فى يديه إذا بتلميذه حسان قد أقبل عليه وهو يقول :

ـ يا شيخ أشعب، بحثت عنك فى كل السوق.

فقال أشعب :

ـ أوليمة؟

فقال تلميذه حسان:

ـ لا ،ولكنه الشوق إلى حديثك والتطلع إلى وجهك.

فأشاح أشعب بوجهه عنه وأطرق لحظة ثم قال :

ـ كأنى بك لا تريد أن أزيدك فى النصح.

فنظر إليه تلميذه متسائلا:

ـ لماذا ؟

فقال أشعب متخابثاً:

ـ لأنى أرى أن أطباق طعامك قد انقطعت عنى .

فقال :

ـ ليس عندى الآن ما يُهدي.

فقال أشعب:

ـ أوليس عندكم ما يؤكل ؟ . . .

ـ وهل تريد أن تأكل ؟

ـ وهل أريد غيره؟

ـ إذا شئت فإن دارى دارك، وأنت ليس منك حشمة.

وقاد حسان أستاذه أشعب إلى داره وأنزله ضيفاً عليه.

ودخل على امراته فأوصاها أن تعد لأشعب عشاءً طيباً.

وأكل أشعب ، ثم جال بنظره فى الدار وقال :

ـ عجباً، أرى أنك من استواء الحال على قدر تحمد الله عليه فما شأنك أنت و (شغلانة) التطفل التى نشتغلها؟

ـ لقد عَلقت بها، ولاطاقة لى على فراقها .

ـ لو أضفتنى عندك أياماً أنصحك وأزيدك من بحور علمى بها، ما تركتك إلا وأنت أستاذاً فيها . . مثل حال صديقى نعمان الذى كان لا يفقه فيها وبعد أن علمته صار منافساً لى ( ولكنه مازال طوع بنانى)

ومكث أشعب فى دار تلميذه أياماً وليالى حتى ضجر منه، وكانت امرأته ستترك الدار بسببه. فذات ليلة قالت له:

ـ إلى متى يبقى شيخك هذا هاهنا؟

فقال:

ـ علم ذلك عند الله.

فقالت:

ـ سأدبر أنا للأمر وأعرف متى يرحل؟

ـ كيف؟

ـ تظاهر بشجارك معي وخصامك لى بعد أن ترفع صوتك علىّ ، وأنا سأنطلق إليه باكية وأطلب منه أن يحكم بيننا وأقول له :

« بالذى يبارك لك فى ذهابك غداً ، أينا أظلم؟ »

وانطلقت من فورها وقالت له ذلك فقال:

ـ بالذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهراً ماأعلم ، ولا أحب أن أدخل بينكما فى وصال أو خصام . . فهذا ما عاهدت نفسى عليه طيلة عمرى .

وهنا أدركت المرأة وأدرك زوجها أن الأستاذ . . . أشعب . . . يطمع فى طول المقام. وصارا فى هم وغم إلى أن لاحت ـ فى اليوم التالى بذهن الرجل فكرة واهتدى إلى حيلة عرضها على زوجته قائلاً:

ـ إذا كان غداً أقول له « كم ذراعاً تقفز يا شيخنا ؟ وأقفز أنا أمامه من العتبة إلى خارج الدار ، فإذا قفز هو اغلقى الباب خلفه بسرعة ولا تفتحى أبداً مهما صحتُ بك.

فقالت المرأة:

ـ والله إنها لفكرة لا يأتى بها إلا من عانى كثيراً مثلك يا زوجى.

ولما كان الغد ، احكما تدبيرهما ، وجعل نعمان يحتال فى الحديث مع أشعب حتى قال له:

ـ هل تستطيع أن تقفز يا شيخنا ؟

فقال أشعب:

ـ عجبا لك يا أخى ، ومن غيرنا لذلك ، وحياتنا وسط الموائد وفى الأعراس كلهما قفز:

فقام نعمان من فوره وقفز من داخل الدار إلى خارجه مسافة ثلاث أذرع، ثم لوح لأشعب وهو خارج الدار قائلاً:

ـ هيا . . اقفز .

فنهض أشعب وقفز . . . ولكن إلى داخل الدار . . . ذراعين فقط .

فوجم نعمان وقال :

ـ عجبا لك يا شيخ . . أنا قفزت إلى خارج الدار وأنت قفزت إلى داخلها .

فقال أشعب :

ـ يا مغفل . . ذراعين داخل الدار خير من ألف ذراع خارجها .

وهذا درس أريد أن أعلمك إياه : إذا تحايل عليك أصحاب الدار الذين نزلت ضيفاً عليهم وأرادوا أن يتخلصوا منك ، أو يطردوك من الدار ، فكن ذكياً حاضر البديهة ، واحتال عليهم بمثل ما احتالوا عليك ، ولا تخرج من الدار إلا مجروراً من ساقيك .

فكاد نعمان يتجمد من فرط الاندهاش وقال :

ـ إنا لله وإنا اليه راجعون . . لك الأمر يارب !!

❑❑❑❑❑

# حكاية أشعب

## مع ساكن داره ...

فتح الله على أشعب ،فورث داراً كبيرة، كان فى غير حاجة إلى سكناها ، إذا كان قانعاً بحاله ساكنا فى عشة من الصفيح والقش بجانب الطريق . . . فقرر أن يؤجرها لمن يحتاج إلى سكن . . . وكان ما قرره . .

وذات يوم جاء من أخبره أن الرجل الذى أسكنه فى داره قد نزل عليه ضيفان . . ويقيمان معه.

فاستدعى الرجل وقال له:

ـ يا عبد الله . . سمعت أن لديك ضيفين يقيمان عندك غير أهل بيتك.

فقال الرجل : ـ وما فى ذلك ، إنهما ابن عمى وابنه.

فقال أشعب:

ـ فى ذلك الكثير، فإذا كان مقام هذين الضيفين ليلة أو ليلتين احتملنا الأمر ، ولو أن الطمع فى ليلة واحدة يجر فى الغالب الطمع فى ليال كثيرة.

فقال الرجل:

أنهما سيقيمان عندى شهرًا أو نحو ذلك ،

فقال أشعب :

ـ شهر . . هذا والله كثير، ثم ألا تعلم أن أجرة دارك ثلاثون درهماً، وأنت وعيالك ستة ، أى خمسة دراهم عن كل رأس فأما وقد زدتم رأسين فلابد من زيادة خمستين . . . وبذالك تصير الدار عليك بأربعين درهم بدلاً من ثلاثين.

فقال الساكن متعجباً:

ـ وما يضرك أنت من مُقامهما عندى، إن ثقل أبدانهما عبء على الارض التى تحمل الجبال وليس عبئا عليك، وأنا الذى أتكفل بمؤنتها. فما شأنك وما حجتك لتطلب خمستين زيادة؟

فقال أشعب:

حجتى والله واضحة كشمس النهار وشأنى كبير، فعدد الأبدان إذا زاد زادت سرعة امتلاء البالوعه واحتاج تسليكها وصيانتها إلى نفقة زائدة، كما أن الاقدام إذا زادت وذاد المشى على ظهور السطوح والصعود والنزول على الدرج فإن ذلك يؤدى لتساقط بياض الحوائط وتكسير الأعتاب، علاوة على أن كثرة الدخول والخروج والفتح والإغلاق يؤدى إلى تهشم الأبواب وخلع الأقفال. ولعلك لا تنسى أن ساكن الدار هو المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى يستهلكها وينقص عمرها بسوء تدبيره وإذا ما تركها تركها خرابا لا يصلحه إلا لنفقته الموجعة، ثم هو لا يدع وهو خارج منها متراسا إلا سرقة، ولا سلما إلا حمله. كل ذلك غير ما يسببه لنا ازدحام السكن من مشكلات مع الجيران.

بعد ذلك اذا أردنا أن نجعل الغُرم بالغنم وطلبنا خمستين سمعنا عبارات الاحتجاج وطولبنا بإبداء الحجج والأسباب.

فقال الساكن:

ـ إذا كان الأمر ما تراه، وتلح فى طلب الخمستين، فإنى والله لتاركها لك، ولا أنام فيها ليلتى هذه، فديار الناس بعد ديار الله واسعة.

□□□□□

## حكاية أشعب

## فــى المسـجـد ..

ضاقت الدنيا بأشعب حتى نسى شكل الخبز وطعم اللحم ، فذهب إلى صاحبه نعمان وقال له:

ـ ما قولك لو رحلنا معاً اليوم إلى مكة فقد نجد فيها رزقا.

وقيما قالوا « فى السفر سبع فوائد » ونحن والله لا نبغى غير فائدة واحدة هى :الطعام ومعاشرة الكرام.

فقال له نعمان:

ـ وكيف لنا بالسفر ، ونحن لا نملك درهما واحداً.

فقال أشعب ـ اليوم ترحل قافلة إلى مكة، ولى فيها من يحملنى ويحملك بغير نفقة.

ومضينا من فورها إلى القافلة، وكان اليوم يوم جمعة . . ومرا فى طريقهما بمسجد مزدحم بالمصلين، فتمهل أشعب وحدثته نفسه بالصلاة، وأخبر نعمان فنهره وثناه عن رغبته، ولكن أشعب أصر قائلا:

ـ أريد أن استعين ببركات الصلاة على وعثاء الفلاة.

ـ اذهب أنت وحدك، ولئن فاتتك القافلة فليس على لوم.

ـ انما هما ركعتان أستودع بهما المدينة.

ومشى نعمان فى طريقه، وعرج أشعب على المسجد ودخل، وكانت الصلاة قد بدئت، ووجد الصف كاملاً، ولم يرغب فى الوقوف وحده للصلاة، فجذب ثوب شيخ أمامه فى الصف ليتأخر ويقف إلى جانبه، فلما تأخر الشيخ ورأى أشعب الفَرْجْ تقدم ووقف فى موضع الشيخ وتركه قائماً خلفه ينظر فى قفاه

ويدعوا الله عليه. وكان الامام رجلاً مبطاء ثقيل الحركات ، استوفى فى الركعتين عمر الساعة، وكاد يستنزف أرواح الناس وأولها روح أشعب الذى كان قد قنط من الرحل والرحيل. ،ما أن انتهى الامام من الركعتين حتى نهض رجل من بين الناس وصاح: « ايها الناس ،من كان منكم يحب النبى والصحابه فليعرنى سمعه ساعة. ».

فقال أشعب فى نفسه: يارب ساعة أخرى ؟... ولكنه لم مناصًا من أن يلزم مكانه كما فعل جميع الناس. ثم صاح الرجل :

ـ أيها الناس ! خليق بى أن لا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق وأنا قد جئتكم ببشاره من نبيكم ولكنى لا أبشركم بها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته.

فربط هذا القول أشعب بالقيود وشده بالحبال، فلو تحرك بعدئذ وقام من بين الناس لكان هو ذلك النذل الجاحد فى نظر الجميع . ،مضي الرجل يقول: رأيته فى المنام ﷺ كالشمس تحت الغمام والبدر ليل التمام، يسير والنجوم تتبعه، ويسحب الذيل والملائكة ترفعه، ولقد علّمنى دعاء أوصاني أن أعلمه لكم ، فكتبته على هذه الاوراق بمسك وزعفران، فمن اعطانى درهمين أعطيته الدعاء.

فانهالت الدراهم على الرجل حتى حيرته ، ورأى أشعب ذلك فتعجب من حذق الرجل واحتياله لرزقه، وراح يتأمل فصاحته فى وقاحته، وربطه الناس بهذه الحيلة البارعة، وأخذ المال الوافر بهذه الوسيلة اليسيرة !.

وخرج أشعب من المسجد وهو يفكر فى الأمر ويقول فى نفسه :

ـ ما كان أحرانا أن نحتال للعيش بمثل هذه الحيل، بدلاً من انتظار الولائم والأعراس.

وسار فى طريقه حتى وصل إلى مكان القافلة التى كان سيرحل معها ، فعلم أنها رحلت ومعها صديقه نعمان. فعاد فى غم وكرب يتلوى جوعاً ولا يدرى اين يذهب أو أين يجد شيئاً يأكله.

# حكاية أشعب

# مع القرية التى نكبها السيل..

كان أشعب يجول فى البلاد بحثاً عن وليمة أو عرس، بعد أن انقطعت الولائم وانعدمت الاعراس فى مدينته. وأثناء تجوله مر بقرية من القرى قد ضربها السيل. وكان أهلها فى هم وغم مما أصابهم، كما كانوا جزعين من احتمال أن يعاودهم السيل فيغرقون، فتقدم منهم وقد حدثته نفسه أن يحتال عليهم حتى يفوز منهم بشىء ولو مجرد أكلة.

فبادرهم بالسلام ثم صاح:

ـ يا قوم، أرى مصابكم من السيل كبير، فلماذا لو أطعمتمونى لأزيح عنكم خطر هذا السيل الجارف وأردّ شره؟

فالتفوا اليه وقال قائلهم:

ـ وبماذا تأمرنا حتى نطيعك؟

فقال:

ـ اذبحوا فى مجرى السيل بقرة صفراء، وزوجونى بجارية عذراء من جواريكم، ثم اصطفوا للصلاة خلفى ركعتين لله ، فإن فعلتم ذلك انثنى عنكم الماء إلى الصحراء، وإن لم ينثن فدمى عليكم حلال .

فقالوا:

ـ اتفقنا.

ـ وقاموا فذبحوا البقرة ، وجاءوا بجارية حسناء زوجوها له وبعد أن اكلوا وشربوا ورتبوا لأشعب مقاما يقيم فيه، قاموا وتوضأوا ليصلوا خلفه ركعتين لله كما أمرهم . ولما تهيؤا للصلاة صاح فيهم أشعب:

ـ يا قوم ، احفظوا أنفسكم ولا يقع منكم سهو فى القيام أو فى الركوع فمتى سهونا أو هفونا ذهب عملنا باطلاً، واصبروا على الركعتين فمسافتهما طويلة . . . خصوصاً عند السجود.

وقام وكبر للركعة الاولي ثم قرأ الفاتحة وأعقبها بقراءة سورة البقرة كاملة وطوّل فيها حتى كادت أقدامهم تتلخلخ ثم كبر وركع وطوّل فى الركوع ثم كبر وسجد سجدة ظنوا معها أنه قد نام، لكن لم يجرؤا على رفع رؤوسهم خشية أن يذهب جهدهم فى غير طائل . ثم قام للركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم سورة النساء ثم ركع ثم سجد وطول كثيراً فى السجود ثم رفع رأسه دون أن يكبر فرآهم ساجدين فتسحب وانسل من أمامهم ثم هرول فى طريق الوادى خارجاً من القرية وتركهم ساجدين لا يدري ما صنع الدهر بهم.



## حكاية أشعب

## وجاريته مع الشيخ الجالس أمام الخيمة..

بعد أن فر أشعب من القرية التى ضربها السيل بالجارية التى فاز بها بعد احتياله على أهل القرية ، ظل هائما فى الصحراء ثلاثة أيام حتى أوشك الجوع والعطش أن يقتله . . وفجأة لاحت أمامه خيام مضروبة إلى جانب بعض النخيل، فاقترب منها، وأمام أول خيمة من تلك الخيام وجد شيخا يجلس وحيداً فقرأ علية السلام، ورد عليه الشيخ ثم قال:

ـ من أنت ومن تلك التى معك؟.

فقال أشعب :

ـ ضيفان لم يذقا شيئا مما يوكل ولم يشربا مما يشرب منذ ليالٍ ثلاثة. ونطمع فى كرم شيخ العرب.

فابتسم الشيخ وقال:

ـ اجلسا . . .

ويسكت طويلاً، ثم نظر فى وجهيهما ملياً، ثم تنهد ، ثم ابتسم، ثم تنحنح وقال:

ـ ما رأيكما فى زبدة متوجة بعجوة الواحدة منها تملأ الفم ، عليها لبن قد حُلب من فوق مسمنة. أتشتهيانها ؟.

فرد أشعب وردت جاريته :

ـ آى والله نشتهيها.

فقهقه الشيخ وقال:

ـ وعمكم أيضا يشتهيها.

وصمت لحظة ثم قال :

ـ وما رأيكما فى عصيدة من دقيق قد نُخل حتى صار كأنه سحالة الذهب وسمن عربى بصرى أنضج حتى قال « بق . . . بق . . . بق »

على حواشيها رقاق ملفوف باللحم وممزوج بالبصل والبهارات ومقلى فى الزيت المعصور من الزيتون هل تشتهونها ؟!

فاشرأب كل من أشعب وجاريته إلى وصف الشيخ وسال لعابهما وقالا:

ـ آى والله نشتهيها.

فقهقه الشيخ وقال:

ـ وعلمكم والله لا يبغضها.

وسكت برهة ثم قال :

ـ فما رأيكما فى عنزة من نجد قد أكلت الشيح والقيصوم والهشيم حتى كثر شحمها وطاب لحمها تنضح لكما على نار هادئة من أغصانم الكروم وسيقان الرمان، وتقدم اليكما على خوان منضد بالبقل والخبز، وتوضع بينكما وهى تتساقط عرقا وتسيل مرقاً . . . هل تشتهونها ؟ !

فقالا:

ـ والله لو لم نشتهيها لكنا مثل أتباع موسى الذين قالوا له نريد فولاً وعدساً وبصلاً بعد أن نزل عليهم الله من السماء مائدة عامرة بالمن والسلوى.

فقال الشيخ:

ـ الحمد لله . . . فوالله إن عمكم ليرقص لها ويعود بعد أكلها شاباً أغرّاً.

وهنا أدرك أشعب وأدركت جاريته أن الشيخ يسخر منهما فوثب أشعب عليه

قائلا :

ـ أما يكفى ما بنا من الجوع يقتلنا وعطش يفتك بنا حتى تسخر منا يا شيخ يا مخرِف.

ونهض ونهضت الجارية . . . وانفضا عنه وهما يلعنانه.

❑❑❑❑❑

# حكاية أشعب

# مع الرجل الميت

بعد عصر أحد الأيام، كان أشعب يجلس مع صاحبه نعمان فى الخلاء بعيدًا عن المدينة وبيوتها التى لم يعد عند أحد من أهلها قلب يرحمهما من الجوع. وظلا على صمتهما طويلا.

إذ كان أشعب يعتقد أن الكلام وتبادل الحديث مع معدة خالية من الطعام، يزيد المرء جوعًا ـ وأخيرًا نهض أشعب، وتجول بعينيه فى الأفق الذى يمتد أمامه، حتى لمح على البعد بعض النخيل، فلم يصدق. ثم فرك عينيه، ونظر مرة أخرى، فتأكد مما قد رآه، فصاح:

ـ فرجت.

فنظر إليه صاحبه بنصف عين وقال:

ـ ماذا؟

فقال أشعب:

ـ أرى واحة قريبة. هلم بنا، فربما وجدنا هناك شيئًا نأكله، يهزم هذا الجوع الذى يهزمنا دائمًا.

وتأبط أشعب ذراع صاحبه وراحا يجران أقدامهما حتى وصلا إلى تلك الواحة.

وأمام أول دار واجهتها، وجدا رجالا مجتمعين وقد علت وجوههم غمامة من الكآبة والحزن، ثم وجدا إلى جانبهم حلقة من النساء يرتدين جلابيبًا سوداء وقد أخذن فى لطم خدودهن وضرب صدورهن، فعرفا دون أن يحتاجا إلى سؤال أو جواب، أن صاحب تلك الدار لابد قد مات.

فقال أشعب فى نفسه:

ـ أى حظٍ هذا يارب؟! . . نهرب من الجوع، فنقع فى الموت. اللهم لا اعتراض على حكمتك.

وكان أشعب بخبرته فى التردد على البيوت التى يأكل على موائدها يعلم أن البيت الذى به ميت لا يكون به أكل أو شرب قبل دفن هذا الميت. ولكن الجوع الذى كان يفتك ببطنه ويمزق أحشاءه لم يكن مستعدًا للانتظار، فهداه تفكيره الانتهازى ـ وهو أستاذ الانتهازيين ـ إلى حيلة يحتال بها على هؤلاء الناس حتى يظفر هو ونعمان صاحبه بشىء يأكلانه. فغمز لصاحبه بطرف عينه وتجرأ وتقدم من الرجال المجتمعين أمام الدار، وألقى عليهم السلام، ثم فاتهم واقتحم الدار ـ يتبعه صاحبه وتقدم إلى الميت وجس جسده، ثم صاح:

ـ يا ناس حرام عليكم. . اتقوا الله. . الرجل لم يمت. . فقط هو مغمى عليه. . وأنا بإذن الله تعالى أسلمه لكم حى بعد يومين.

فقال الناس ـ الذين كانوا قد تهيأوا لغسل الميت وتكفينه:

ـ ماذا تقول يا رجل؟ . . وكيف علمت ذلك؟.

فقال أشعب:

ـ أقول الحق. . فالرجل إذا مات برد إسته، وقد جسست إسته فوجدته دافئًا. . ولذلك أقول لكم أنه حى.

فتقدم الناس إلى الميت وتحلقوا حوله، وأخذ كل واحد منهم يمد يده ويتحسسه. ثم قال بعضهم لبعض، وقد اعترتهم دهشة:

ـ لا إله إلا الله . . فعلا. . الرجل جسده دافئ. . وإسته غير بارد.

وتركوا أشعب وصاحبه مع الميت ساعة، حتى خرج لهم بعدها وقال:

ـ جهّزوا لنا مكانا نسترح فيه، وهاتوا لنا شيئًا نأكله، واتركوا الميت لحاله حتى أعود إليه.

فقالوا:

ـ قد جهزنا لكم ماذكرت قبل أن تطلبه.

وخرج أشعب من دار الميت يتبعه صاحبه ويتقدمهم غلام ودخلا دارًا أخرى خصصت لهما، ثم دخل عليهما غلام آخر حاملا صينية كبيرة وعليها صنوف كثيرة من الطعام. فأكلا وشربا حتى كاد أن يُغمى عليهما من كثرة ما قذفوه من طعام فى جوفهما.

وبعد الأكل انهالت عليهما الهدايا والعطايا من كل أهل الواحة بعد أن شاع بها أن الميت لم يمت وأن رجلا اسمه أشعب سيرده ـ بإذن الله ـ حيًا بعد يومين إثنين.

وكان أشعب طوال الوقت، وبعد أن أكل وشبع، منشغلاً بالتفكير فى فرصة للهرب. ولكنه لم يجد تلك الفرصة حتى انتهى اليومان المحددان، فأقبل عليه الناس يسألونه عما وَعَد به، فقال:

ـ هل سمعتموه يئن، أو رأيتوه يتحرك؟

فقالو:

ـ لا.

فقال:

ـ إذن لم يحن وقته بعد، اتركوه الليلة، ولا تزعجوه، وإن رأيتم منه أى حركة أو سمعتم همسة، تعالوا واخبرونى.

فقالوا:

ـ نرجو ألا تؤخر ذلك إلى ما بعد الليلة.

فقال:

ـ كله على الله . . بيده كل الأمر.

وما أن انتهت تلك الليلة ، وأصبح الصباح، حتى جاء الناس وبادروا أشعب بالسؤال:

ـ وماذا بعد؟ . . الميت لم يتحرك.

فقال:

دعونا نرى . . هيا بنا.

ووقف عند رأس الميت وقال:

ـ اقلبوه على بطنه.

فقلبوه. ثم قال:

ـ وقّفوه على رجليه.

فوقّفوه. ثم قال:

ـ قعّدوه.

فقعّدوه. ثم قال:

ـ وقّفوه مرة نانية.

فوقّفوه. ثم قال:

ـ الآن. . ارفعوا أيديكم عنه واتركوه .وصاح قائلاً: ياحى. فتركوه من بين أيديهم، فسقط متكوما على الأرض، ولم يدر أشعب حينئذ ماذا يفعل أو ماذا يقول. وبعد صمت طويل همس:

ـ الرجل ميت.

فانهالت عليه وعلى صاحبه النعال من كل مكان، حتى لم يعد يدرى هل يتفادى الضربة التى تأتيه من فوق أو التى تأتيه من تحت أو تلك التى تأتيه من الجانب الأيمن أو التى تأتيه من جانبه الأيسر، ولم يعد مكان فى جسمه إلا وقد تلقى ضربة موجعة.

ثم أخيرًا ـ وبصعوبة شديدة، تمكن أن يفلت منهم ويفر هاربًا، ناجيًا بنفسه التى كادت تهلك من شدة ضرب النعال.

## حكاية أشعب

## عندما دَسَّ نفسه وسط الزنادقة العشرة..

كان أشعب يجلس على شاطىء الفرات بالبصرة وحيداً غريباً، لا مال معه ولا زاد، وقد فتك به الجوع بعدما أوصله السفر الطويل والترحال الكثير ـ على رجليه مره وعلى ظهر جمل مرة أخرى إلى هناك. وفجأه سمع صوت جلبة وضوضاء ، فالتفت خلفه فاذا به يرى عشرة رجال مجتمعين فى مكان واحد تحت ظل شجرة فصاح فى نفسه:

ـ قد جاءك الفرج أخيراً يا أبا الشعاب.

ونهض سريعا وانسل داخلاً وسطهم قائلاً لنفسه :

ـ والله إن هولاء ما اجتمعوا هكذا إلا ووراءهم وليمة . . .إن ظنى لا يخيب أبداً. . . .

وما هى إلا سويعة حتى جاء من يقود العشرة ويمضى بهم ـ وهو معهم ـ حتى انتهوا إلى زروق يرسو على الشط وأمرهم بالصعود وركوب الزورق. وقال أشعب فى نفسه:

ـ هى والله نزهة . . . قبل الوليمة .

ثم فجأه رأى أشعب من يقيدهم بسلاسل حديدية، وقيدّ هو معهم . فقال فى نفسه ـ ولم ينتبه بعد :

ـ هى شروط الوليمة. . .

واذا به يعلم بعدما سأل أحدهم همساً، أنهم عشرة زناذقة ذكروا بالاسم لأمير المؤمنين الذى أمر أن يساقوا اليه سَوْقَ البهائم لتقطع رقابهم أمامه !

فارتجف أشعب لاعنا فى نفسه التطفل وسنينه.

وماهى إلاساعة واحدة حتى وصل الزورق إلى مقر الخليفة، فنزلوا من الزورق ونزل معهم ثم ساقهم تابع من الأتباع يبدو من سيمائه ومن طوله وعرضه أنه ما أعدّ إلا لمهمات صعبة، ثم نودى عليهم واحدا واحداً . وكلما نُودى على واحدٍ تطير رأسه فى الهواء ثم تتدحرج على الارض ويرفسها الأمير برجله حتى اكتملت أمامه عشرة رؤوس. وفى تلك اللحظة كان أشعب ـ الذى لم يُدع باسمه واقفا وحيداً تهتز الارض تحت قدميه من شدة إرتعاشه. واذا بالأمير ينظر فيراه ويسأل مندهشاَ :

ـ ومن هذا ؟ ألم تقولوا أنهم عشرة ؟!

فأجاب رئيس الجند :

ـ والله ما ندرى يا أمير المؤمنين، غير أنّا وجدناه معهم فجئنا به.

ثم التفت الأمير إلى أشعب وقال :

ـ من أنت وما قصتك يا ملعون ؟.

فقال أشعب :

يا أمير المؤمنين . امرأتى طالق إن كنت أعرف من أحوال هؤلاء شيئا ، انما أنا رجل طفيلى ( تلقيحة يعنى ) رأيتهم مجتمعين، فظننتهم يجتمعون من أجل وليمة، فدسست نفسى بينهم وجئت معهم . ويعدمنى عيالى ان كنت أعرف كافراً واحداً من هؤلاد الكفرة.

فقال أمير المؤمنين:

ـ ليس هذا مماينجيك. اضربوا رأسه.

فصاح أشعب وقد بال فى ثوبه :

ـ أصلحك الله ومد لنا فى بقائك يا أمير المؤمنين، إن كنت ولابد فاعلاً. ، فلتأمر سيافك أن يضرب بطنى ويدع رأسى فهى التى ورّطتني هذه الورطة.

فالتفت أمير المومنين إلى جلادة وقال:

ـ اذن أدّبوه . . . ثم احبسوه حتى يطلع نهار الغد وننظر فى أمره .

# حكاية أشعب
# الأخيرة وقرار الاعتزال

أمر الخليفة باحضار أشعب من حبسه الذى أمضى به ليلة عقابا له على حشر نفسه وسط الزنادقة العشرة الذين طارت رقابهم أمامه. وحين وقف أشعب أمامه بادره بالقول:

- يا ملعون .. قلت بالأمس أن بطنك هو الذى ورطك مع الزنادقة ... وأنه كثيرا ما يسبب لك مشاكلا .. وقد عفونا عنك بعد أن اكتفينا بحبسك ليلة.. والآن ما رأيك فى قصعة رقاق محشوا باللحم ومغمور بالزبد ومتوج بفخد من الضأن الذى تفوح منه روائح بهارات بلاد الهند ؟

فقال أشعب غير مصدق لما قاله:

- وأجلد كم جلدة ؟...

- بل تأكلها من غير جلدٍ .

فنظر أشعب إلى الخليفة ملياً ثم قال:

- هذا ما لا يكون . فقل لى بالله وبالرسول كم جلدة أجلدُها حتى أتقدم من القصعة على بصيرة.

فضحك الخليفة وضحك الوزير والأتباع الحاضرين ، ثم التفت الخليفة إلى أشعب وقال:

- قد علمنا أنك ذو بصر بالطعام، فما قولك فى « اللوزينج » و« الفالوزج » أيها أطيب ؟

فأجاب أشعب:

- يا أمير المؤمنين، أصلحك الله، أنا لا أقضى على غائب.

فأمر الخليفة، فأحضرت مائدة عليها « اللوزنيج » و« الفالوزج ».

ثم قال لأشعب:

ـ هيا . . . اقض بينهما الآن.

فانقض أشعب من فوره ـ لفرط جوعه على المائدة وجعل يأكل من اللوزينج مرة ومن الفالوزج مرة أخرى، وهو ساكت لا ينبس بحرف، وقد انتفخ فمه بالصنفين.

فقال الخليفة:

ـ قل يا ملعون . . أيها أطيب ؟

فتردد أشعب وحار ماذا يقول ، ثم عاد فأخذ من هذا بعضا ومن ذاك بعض . وقال:

ـ والله ، يا أمير المومنين، كلما أردت أن اقضى لأحدهما ، أدلى الاخر بحجته.

فضحك الخليفة . . بعد أن استملحه وقال :

ـ ما علينا . . . أى لون من الطعام تريد ؟

فقال أشعب :

ـ كل الألوان .

فضحك الخليفة مرة أخرى وأمر بأن يقدم له كل ما يشتهى، وجعل ينظر اليه وهو يزدرد الطعام حتى فرغ ، ثم قال له:

ـ شبعت ؟

فقال أشعب :

ـ نعم ، أطال الله عمر أمير المؤمنين وأبقاك لنا.

ثم تأمل الخليفة ما يرتديه أشعب ، فوجدها أسمالاً بالية، فأمر له بثياب جديدة ثم قال له:

ـ يا أشعب : ـ بعد أن تغذيت واكتسيت، هل لك حاجة أخرى ؟

فقال أشعب :

ـ كلب صيد أصطاد به .

فقال الخليفة متعجبا وضاحكا :

ـ قد أمرنا لك به.

ثم قال أشعب:

ـ وغلام يقوده.

فقال الخليفة :

ـ قد أمرنا لك به.

ثم قال أشعب :

وجارية تطبخ لنا الصيد.

فقال الخليفة وهذه أيضا أمرنا لك بها.

فقال أشعب:

ـ ودار نأوى اليها .

فقال الخليفة :

ـ وتلك أيضا أمرنا لك بها.

فقال أشعب:

ـ بقى الآن المعاش الذى أعيش به.

فقال الخليفة:

ـ ولك أيضا معاشا شهريا.

فقال أشعب :

ـ حاجة أخيرة يا أمير المؤمنين: أن تزوجنى معشوقتى وجاريتى دلال.

فقال الخليفة:

ـ قد زوجناك منها وأمهرناها عنك عشرين الف درهم.

ثم قال أشعب:

يا أمير المؤمنين . . . اطال الله عمرك وحفظك لنا،

بعد أن انعمت على بكل هذه النعم . . . أرجوا أن تسمح لى بأن أعتزل شغلانه التطفل، وأن استخلف عليها خليفة من بعدى، وأن اكتب بذلك عهداً إلى صديق لى يدعى نعمان ليكون هو منذ اليوم إمام الطفيليين وزعيمهم.

فضحك الأمير ، ثم أمر بأن يحضر الكاتب ومعه قرطاساً وقلما ، وقال لأشعب : إملِ عليه ما شئت.

فقال أشعب للكاتب:

ـ اكتب :

## بيان إعتزال أمير الطفيليين

## أشعب

«هذا ما عهد أشعب إلى نعمان حين استخلفه على سنته واستنابه فى حفظ رسومه من التطفل على أهل المدينة وما يتصل بها من اكنافها، ويجرى معها من سوارها وأطرافها ، وذلك لما توسمه فيه من قلة الحياء والشدة عند اللقاء،وكثرة أكله ، وسعة بطنه ، وجودة هضمه، ولما رآه أهلاً له من قوة جسده وثبات قدمه فى كل زحام ولدى كل سلطان ولما عهده فيه من بديهة والمعية تجعله سباقا عند كل

ذى حسب وذى نسب، وتجعله من اوائل الواردين على كل من اتسعت مصادر ماله وتفرعت شعب حاله وأحواله، ولما لمسه فيه من قدرة واسعة خصه الله بها على هضم غرائب المأكولات وبدائع الطيبات.

ولما عهد فيه من سعة حيله وحسن تدبير يجعله لا يرضى مع الآكلين أو الشاربين إلا بنصيب الشريك المناصف. وتجعله وراثا مع الوارثين.

هذا عهدى اليه وحجتى عليه، فليكن بأوامره مؤتمراً ولرسومه متبعاً إن شاء الله، وبالله التوفيق وعليه التعويل، وهو حسيبنا جميعاً ونعم الوكيل . . .»

وما أن انتهى كاتب الخليفة من كتابه بيان إعتزال أشعب.

حتى أمر الخليفة بأن يطوف المنادى بشوارع المدينة وأزقتها ليذيعه على عامة الناس. ثم انحنى أشعب على يد الخليفة يقبلها . . . ثم انصرف واختفى، ولم يعد أحد يراه لا فى الموائد ولا فى الأعراس.

❑❑❑❑❑

# فهرس الحكايات

| الحكاية | الصفحة |
|---|---|



